الشعر العربي في الغرب الأفريقي خلال القرن ١٩م
منطقة ماسنا إنموذجاً

مجلة دراسات إفريقية

Journal Homepage: http://studies.africansc.iq/
ISSN: 2518- 9271 (Print) ISSN: 2518- 9360 (Online)

الشعر العربي في الغرب الأفريقي خلال القرن ١٩م: منطقة ماسنا إنموذجاً

سعيد بري/ (مالي)
طالب الماجستير في جامعة الملك خالد ـ أبها/ المملكة العربية السعودية.
alphabirga@gmail.com

تاريخ الاستلام:
٢٥/ ١/ ٢٠٢٣
تاريخ القبول:
٣٠/ ١/ ٢٠٢٣
تاريخ النشر:
١/ ٣/ ٢٠٢٣

الكلمات المفتاحية:
الشعر العربي، غرب أفريقيا، منطقة ماسنا.

المجلد الثاني العدد (١٠) الجزء الأول شعبان ١٤٤٤هـ - آذار ٢٠٢٣م

ملخص البحث:

هذا البحث المتواضع يأتي محاولة للإسهام في الأنشطة البحثية التي تسعى إلى جمع التراث الأدبي في (ماسِنا Macina) وتحقيقه ووصفه وتحليله قبل دراسته دراسات نقدية معمقة، حيث إنّ مجال البحث فيه لا يزال بدائيا وخصبا وميادينه واسعة؛ لأنّ أغلب نتاجاتهم لما يزل مخطوطا مجهولا مغمورا في مكتبات عائلية خاصة يصعب الوصول إليها، وتقع مسؤولية إظهارها على عاتق أبناء المنطقة. وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد الكثير من التراث الإسلامي الذي خلّفه علماء (ماسِنا) في العقيدة، والتفسير، والفقه وأصوله، والتاريخ واللغة والأدب باللغتين معا: الفُلاَّتِيَة اللغة المحلية، والعربية لغة الدين والثقافة في شكل مخطوطات يصعب الاستفادة منها إلى اليوم، ككتاب: (دُوكَلْ دُوكُ أي منحة المعطي) لألفا سعيد الماسني، ونهيب بأبناء المنطقة المختصين في شتى المجالات أن يلتفتوا إلى هذا الإرث الثمين الذي تركه أجدادهم، ويخرجوه بشكل لائق إلى النور.

Arabic Poetry in West Africa during the 19th Century: the Macina Region as a Case Study

Seydou Barry

alphabirga@gmail.com

Received:
25/1/2023

Accepted:
30/1/2023

Published:
1/3/2023

Keywords:
Arabic poetry, West Africa, Macina region.

Journal of African Studies
volume (2)
Issue (10)
Shaaban 1444 H

Absrract

This modest research comes as an attempt to contribute to the research activities that seek to collect the literary heritage in (Macina), achieve, describe and analyze it before studying it in in-depth critical studies, as the field of research in it is still primitive and fertile and its fields are wide; Because most of their products are still unknown manu-scripts immersed in private family libraries that are difficult to access, and the responsi-bility to show them lies with the people of the region.

It should be noted that there is a lot of religious heritage left by Macina scholars in doc-trine, interpretation, jurisprudence and its origins, history, language and literature in both languages: Falata, the local language, and Arabic, the language of religion and culture in the form of manuscripts that are difficult to benefit from until today, such as a book: (Dokal dokko: the giver grant) to Alpha Saeed Al-Macini, and we call upon the people of the region who are specialists in various fields to pay attention to this precious legacy left by their ancestors, and bring it to light in a proper manner.

المقدمة:

التراث الشعري الأفريقي من القضايا المهمة في الدراسات الأدبية والنقدية وقد ازداد الاهتمام بها في الجامعات العربية الإسلامية في الآونة الأخيرة، باعتبار أنها يمكن أن تساهم في نشر الثقافة الإسلامية وآدابها، وفي التربية وتهذيب الناشئة من خلال الأدب، وتفتح آفاقا أخرى لدراسات أدبية متصفة بأخلاق إسلامية من دون إهمال فنية الأدب، أو إلغائه: ومن الملاحظ أن النتاج الأدبي العربي في أفريقيا السمراء قديما يكاد ينحصر في القضايا الإسلامية لأسباب أهما:

- ✓ ـ دخلت العربية وانتشرت في القارة عن طريق الدين الإسلامي.
- ✓ ـ الهدف الأساسي من تعلم العربية لدى متعلميها من أبناء القارة هدف ديني محض.
- ✓ ـ الأدباء المنتجون لهذا الأدب هم العلماء، وأئمة الدين، وشيوخه، وتلامذتهم.

وتسعى هذه الورقة البحثية إلى دراسة ملامح الشعر العربي في الغرب الأفريقي وتتخذ منطقة ماسنا حدا. تعتمد الورقة على منهج الوصف والتحليل من خلال نماذج من الأشعار بعد تقديم تعريف موجز عن المنطقة المحددة، فلقد كانت منطقة ماسنا حافلة بالعلماء في شتى المجالات.. ولكنَّ الإشكالية التي تتناولها الورقة البحثية هي: هل وفقت منطقة ماسنا أنْ تكون إنموذجاً للشعر العربي الحيّ في غرب أفريقيا؟

وتأسيسًا على ما سبق فقد وجد البحث الحاجة في التعريف بالنتاج العلمي عموما، والإنتاج الأدبي بصفة أخص في هذا الأدب الموسوم بالأدب العربي في أفريقيا في جزيرة لم تنل حظها من الدراسة والاهتمام من قبل الباحثين، وهي:(**إمارة ماسِنا الإسلامية**) التي نشأت في عام ١٨١٨م، واستمر حكمها، وعطاؤها في المناطق التي كانت تضمها حتى عام ١٨٦٢م، لكنّها سقطت لما تهاون أميرها يومئذ ـ (أحمد أحمد) ـ بتعاليم الشريعة، وأسس التوازن في الدولة ، وهي من آخر الدول المستقرة التي توصف بالإسلامية في

غرب أفريقيا؛ حيث تزامن سقوطها النهائي مع سيطرة الاستعمار الفرنسي[١].

ومن المعروف أنّ حضارة الأمم والشعوب تعرف بالآثار التي يخلفونها من مخطوطات، ووثائق تحمل علومهم، وأفكارهم وسياستهم في الحياة، ومعابد ومدن يكشفها علماء الآثار غالبا، ليدلنا على الرقي الفكري، والثقافي والمهاري لأصحابها، ويستفيد من هذه الآثار الأمم والأجيال اللاحقة بهم في تطوير حاضرهم، وبناء مستقبلهم على بصيرة تامة بماضيهم عن طريق معرفة ما اتصف به هذا الماضي من جوانب مشرقة، وأخرى مظلمة، ليتمكنوا من وضع خطط وبرامج سعيا إلى محو أو تقليص السلبيات بالتطوير، وإضافة أفكار وإمكانات أخرى عن طريق البحوث العلمية.

المحور الأوّل: التعريف بمنطقة الغرب الأفريقي

لقد عَرَفَتْ منطقة السودان الغربي، (غرب أفريقيا)[٢] ممالك كثيرة، تحولت بعضها إلى إمبراطوريات كبرى مع الزمن، وتعاقب على حكمها أمم، وأقوام شتى عبر عصور متتالية من الدهر.

ولقد تأسست جلّ هذه الدُول على أيدي السكان الأصليين من السود، وبعضها من البيض قبل أن ينتقل الحكم إلى السود، واتسعت الرقعة الجغرافية لبعضها مثل: غانة حتى شملت الدول التي تطلق عليها اليوم (غرب أفريقيا): نيجيريا، النيجر، بوركينا

(١) من عام ١٨٦٢م الذي هاجم فيه الحاج عمر الفوتي ـ والذي كان يسعى لفرض نفوذه والسيطرة على المنطقة وفرض الطريقة التجانية على أهلها الذين وجدهم على الطريقة القادرية الكنتية ـ حتى عام ١٨٨٢م، لم تعرف منطقة ماسنا هدوءا واستقرارا من أجل الحروب الدائرة بين الماسنيين وحلفائهم الكنتيين، وبين الشيخ عمر الفوتي وجماعته، فانتهز المستعمر الفرنسي هذه الفرصة للقضاء عليهم جميعا والسيطرة الكاملة على المنطقة للأسف الشديد. ينظر: المختار بن إسماعيل بن وديعة الله بن علي بن محمد السلنكي، عبد الرحمن عبد الله سيسي، وآخرون، ما وقع في التكرور السوداني مما بين تنبكت وجني، معهد أحمد بابا للدرسات العليا والبحوث الإسلامية، المكتبة الوطنية بمالي، ٢٠١٩م.

(٢) تسمية المنطقة بالسودان الغربي: هو الاسم الشائع في الكتب التاريخية القديمة المحلية منها وغير المحلية، ولكن مع سيطرة الاستعمار الغربي بدأ تتراجع شهرة هذه التسمية لصالح اسم: غرب أفريقيا، حتى صار اليوم هو أشهر وأكثر استخداما.

فاسو، مالي، موريتانيا، السنغال، غينيا كوناكر، ساحل العاج، وغيرها من دول غرب أفريقيا.

إن أقدم وأعظم وأشهر هذه الدول هي: **غانة** (Gana)، **بورنو**(Borno)، **مالي**(Mali)، **صونغي**(Sonhgoy)، ثم نشأت بعد ذلك ممَالِك وإمارات إسلامية يقودها علماء وشيوخ مصلحون في الغالب، نكتفي بذكر اثنتين لصلتهما بموضوع بحثنا، وهما: **صكتو**((Sokoto، **وماسنا** (Macina).

المحور الثاني: مملكة صكتو: قامت دولة صُكُتو على يد الشيخ المصلح: (عثمان بن فوديو الفلاني) حوالي عام (١٢١٨هـ/ ١٨٠٤م)، ولقد بايعه على طاعة الله، ورسوله، والجهاد في سبيله، والسمع والطاعة له في المنشط والمكره أخوه العالم والشاعر عبد الله بن فوديو، وصديقه عمر الكموني، وابنه محمد بللو ثمّ سائر العلماء، والأعيان من أصحابه، وتلامذته، فعمد الشيخ بعد ذلك إلى تشكيل الدولة على النظام الإسلامي، فاطمأنت نفوس الجماعة إلى العبادة، وانشرحت صدورهم بنور الإسلام، ثمّ حدث أوّل اشتباكات بين ملك (غوبر وحلفائه[١]) ـ الذي كان يتألم من إقبال الناس على الشيخ عثمان، ودعوته التّي تزداد قوّة وانتشارا يوما بعد آخر ـ وبين الشيخ وجماعته بعد محاولات من ابن فوديو لتفادي الحرب معهم ولكنَّهم أبوْا إلاَّ أن تكون كذلك، فشاء الله أنْ ينتصر الشيخ في أوّل معركة وقعت بينهم في (كوتو[٢]Kouto)، وفي ذلك يقول الشيخ عبد الله قصيدة جاء فيها[٣]:

بــدأت ببسم الله والشّكر يَتْبَعُ عــلى قَــمْــعِ كُــفَّــارٍ علينا تجمعوا

(١) أحد أكبر ملوك هوسا السبع، (آدم عبد الله الإلوري، ـ الشيخ ـ الإسلام في نيجيريا، والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، تقديم: عبد الحفيظ أولادوسو، ط١، دار الكتاب المصري، عام، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص: ٤٣).

(٢) اسم موضع في دولة نيجيريا حاليا.

(٣) عبد الله بن محمد المعروف بابن فودي، ديوان تزيين الورقات، طامي زيرو صكتو ـ نيجيريا، ص: ٥٩.

ليستأصِلوا الإسلام والمسلمين من بـلادهـم والله في الفضل أوسـع
إلى أنْ تـراءيـنـا وزاد اقترابنا رمـوا فرميناهم فولَوا و أقشعوا
فلم يَـكُ إلاَّ أنْ رأيـت جَهَامهم قد انكشفت عن شمسِ الإسلام تلمع

المحور الثالث: مملكة ماسنا قبل الإمارة الإسلامية

١ـ موقع مملكة ماسنا:

تقع مملكة ماسنا في الشمال الغربي لمنطقة السودان الغربي في جمهورية مالي حاليًا في منعطف نهر النيجر[١]. وكلمة ماسنا اسم لواد يقع بين قرية سوسوبي Sosobe وقرية سمبوSempo، اتخذها أوّل ملك مملكة ماسنا «مكن جللو makan jallo» اسماً رسميًا لمملكته[٢].

وهناك تفسيرات متعددة لكلمة (ماسنا) منها ما أورده الباحث عثمان بَرايما في كتابه جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي، إذ يقول: «من المرجح أن تكون الكلمة مشتقة من كلمة «موسيني» أو «موينى» أي أرضعت باللغة الفُلاَّتِيَةِ»[٣].

ولكن التفسير الذي يكاد تطمئن إليه نفسي بعد مناقشة كثير من الناس في الموضوع هو التفسير الذي عليه أهل المنطقة والذين يعيشون على مقربة هذا الوادي المدعو بماسنا ، يقولون: إنّ أصل كلمة ماسنا مأخوذ من كلمة (ما سِأَA maasi) يعني باللغة الفُلاَّتِيَة لا بد أن ينفذ ويمضي. من نَفَذَ يَنْفُذُ نَفاذا ونُفوذا.

---

(١) عثمان برايما بري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي، القاهرة: دار الأمين، ط١، ١٤٢١/ ٢٠٠٠م: ١٥٧.

(٢) (يستمع إلى أسطوانة يرو أسكلا باه كُياتي: مؤرخ و مداح مشهور بين من يحذقون اللغة الفلانية في مالي وله مؤلفات منها كتاب: (sekou amadou) وكتاب: (notes de ma guitare) وغيرهما وسمي باسمه المعهد الحكومي((I f m y a b لتكوين المدرسين في مدينة سيفاري توفي عام ٢٠٠٠م في قريته بوي (boya)، (أمير تيكري ابن يرو أسكلا).

(٣) ينظر جذور الحضارة: ١٥٧.

وقد عرّف «فييار vieillard»[١] (ماسِنا) بأنها «عقدة جغرافية تجتمع فيها المياه والمراعي، وحقول الأرز، وأسواق السمك، وهي مقصد قاطني الأراضي الرملية والجافة (سينو Seeno وهاير Hayre) المحيطة بها، ومحور ديني وتجاري ومركز سياسي لمملكة أربي قبل إمارة الشيخ أحمد[٢].

حدودها، وطبيعتها: تمتد ماسنا من جفرابي Djafarabe إلى وادي ديبو DE-BOY، ومن كاريري kareri إلى فكلا[٣] fakala.

وتتميَّز (ماسنا) بخصوبة أراضيها، وصلاحيتها للزراعة وتربية المواشي، بالإضافة إلى كثرة مياهها ومجاريها، فهي جزيرة تشبه جزيرة الأندلس في توفر الأشجار والمياه.

ويذكر المؤرخون أنها مملكة دامت أكثر من خمسمئة سنة قبل ظهور الشيخ أحمد بن محمد بن سعيد مؤسس الإمارة الإسلامية فيها، وتعاقب خلال تلك المدة أربعة وخمسون ملكا كلهم مسلمون[٤].

٢ـ مملكة ماسِنا: (إمارة ماسِنا[٥])، في عهد الإمارة الإسلامية (١٢٣٤-

---

(١) Gilbert vieillard عالم اجتماعي غربي له مؤلفات حول الفلان في جمهورية مالي وغيرها منها: Recits peuls du macina, du Kounary du Dielgodji et du Torodi) Mali, Haute volta).

(٢) محمد جاكايتي، (دكتور) الفلانيون وإسهامهم في الحضارة الإسلامية بمالي خلال القرنين (١٢ـ ١٣م / ١٤٢٧ ـ ١٤٢٨هـ)، جامعة زيتونة، المعهد العالي لأصول الدين (تونس)، عام ٢٠٠٦ ـ ٢٠٠٧م: ٣٧.

(٣) المصدر السابق: ٣٧.

(٤) جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي لعثمان برايما: ١٦٧.

(٥) أرسل الشيخ أحمد في عام ١٢٣٣هـ / ١٨١٧م وفدا إلى الشيخ عثمان بن فودي يستفتيه في أمر جواز جهاده، فأفتاه بالجواز، ينظر سعيد بري الشعر العربي في إمارة ماسنا ، بحث مقدم إلى كلية اللغة العربية والعلوم الإنسانية لنيل درجة الباكالوريوس ، الجامعة الإسلامية بالنيجر عام ٢٠١٦/ ٢٠١٧: ٧، تلخيصا عن محمد جاكايتي، أطروحة دكتوراه في الحضارة الإسلامية في مالي.

١٢٧٩هـ/ ١٨١٨- ١٨٦٢). نبذة تاريخية عن مؤسس إمارة ماسنا الإسلامية: الشيخ أحمد حمدي بوبو.

هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن سعيد بن الحاج بن مود بن حَمَّ نُقارِكَ بن هارون بن موسى بن أبَّ بن جاجي بن محمود بن بوبكر مَوْطُو (الكبير) المكنى (بشيخ أحمد بوبو أو شيخ أحمد لُوبُّ Lobbo)[١] . ولد الشيخ أحمد حوالي سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م في قرية (مَلانَفَلْMalanafal)[٢] قرب مدينة (تِننْغُو(Tenengou من عائلة متعلمة ومتنقلة مع حيواناتها بحثًا عن المراعي[٣]. ووقع اختيار عاصمة الإمارة على بقعة قريبة من نهر النيجر ومرتفعة قليلا، وفي مأمن من الفيضان في عام (١٨١٩م)، وخطّت المدينة، وشرعوا في بنائها[٤].

نظّم الشيخ أحمد رحمه الله إمارته تنظيمًا محكمًا ودقيقًا في جميع المجالات الآتية: المجال الإداري، المجال الاجتماعي، المجال السياسي والاقتصادي، المجال الثقافي العلمي وكذلك المجال العسكري وغيرها من أركان الدولة، سنكتفي بذكر نبذة عن المجال الثقافي العلمي فقط لتناسقه مع المراد من هذا البحث.

المحور الرابع: التنظيم الثقافي العلمي:

أَولى الشيخ أحمد بالجانب العلمي اهتمامًا كبيرًا، حيث افتتح في»حَمْدَ اللهِ» وحدها

---

(١) لوبّ (باللغة الفلانية) يعني جميل الصفات طيب الأخلاق.

(٢) تشير بعض المصادر إلى أنه ولد ببلدة (كايال) أو (ملاغل) أو (لاردبال) مثل: كتاب الاضطرار إلى الله للشيخ أحمد، بتحقيق أحمد إمام سيسي مدرس اللغة العربية في المدارس الإسلامية في مالي(مدينة سيفاري)، وكتاب جذور الحضارة الإسلامية لعثمان برايما، ومنها روايات شفوية محلية.

(٣) أحمد بن محمد بن أبي بكر الماسني (الشيخ)، الاضطرار إلى الله في بعض ما توقد من البدع وإحياء بعض ما اندرس من السنن، المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج أبوبكر صو ص. ب. ١٣٢٣ باماكو مالي، ص: ٤. بتصرف.

(٤) علي يعقوب – دكتور- الفلانيون الشعب، اللغة، ونشر الإسلام في السودان الغربي، مكتبة التين، لاغوس- نيجيريا- ص: ٦٩. بتصرف.

ستمائة مدرسة قرآنية لتعليم الصغار، وعُيِّن ألفا نوح بن طاهر مشرفًا عامًا على جميع الشؤون التعليمية في الدولة، ولا تفتتح أية مدرسة إلا بإذنه وموافقته، كما أصدر الشيخ أحمد قرارا يلزم كل طفل بلغ السابع من العمر الالتحاق بالمدرسة القرآنية ((Doude Diina))[١].

فبهذا الاهتمام البالغ بالعلم والعلماء من الشيخ المؤسس تمكن إمارة ماسنا الإسلامية من المساهمة في حركة التقدم الثقافي والعلمي، وفي نشر الإسلام واللغة العربية في غرب أفريقيا، وهي مساهمة تلفت الانتباه، وتوجب الاعتراف بها، خاصة في مجال الشريعة، والأدب، واللغة العربية، من ذلك العهد إلى يومنا هذا.

ومن هذه الإسهامات على سبيل المثال: تعميم تحفيظ القرآن الكريم على قرى الإمارة والمناطق المجاورة لها، وكان التعليم بصفة عامة متجاوبًا مع تطلعات الحكومة المركزية للإمارة باختيارها الاستشاريين والإداريين، معتمدة في ذلك على الكفاءة العلمية، والخبرة[٢].

كما ارتفعت الحركة الأدبية في الشعر والنثر والتاريخ باللغة المحلية، التي كانت تكتب بالحرف العربي، وباللغة العربية، ويقدر عدد العلماء في إمارة ماسنا بنيف وثلاثمئة عالم متمكن، وستمائة مدرسة قرآنية لتعليم الصغار في العاصمة (حَمْدَ الله) وحدها[٣].

المحور الخامس: نماذج لبعض الشعراء الماسنيين:

١ـ قصيدة الشاعر أحمد حمْ برْكي Ham Barke، مدح فيها علماء (حَمْدَ الله) عاصمة إمارة ماسنا، وبيّن أنها مسقط رأسه، سكن فيها قوم كرام لم ينلهم أي عيب، وجدد الشيخ أحمد الماسني دينَ الله فيها عام (١٢٣٣ه/ ١٨١٨م)، وحكم (٢٨) سنة، وتوفي وعمره (٧٦) عاما، ذكر أبناءه، ثم بدأ يُعَدِد عظماء ماسنا، فبدأ بالشيخ أحمد

(١) علي يعقوب المصدر السابق ص ٧١.

(٢) عثمان برايما باري المصد السابق ص: ١٨٠ بتصرف.

(٣) المصدر الصابق، ص: ١٨١.

وخليفتيه (ابنه وحفيده، الأحمَدَيْنِ)، وذكر ابنيه الآخرين: عبد الله ومحمد، فأتبعهم ببقية أعيان (حَمْد الله) مثل: ألفا با لُبُّ Alfa balobbo، وألفا نوح، وألفا دنبا (Demba)، وألفا مالك، وغيرهم فأشار إلى أن أهل (حمد الله) عانوا من ابتلاءات خَلفِهم، وختم قصيدته بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم منها.

١ـ قوله: البحر الوافر.

بِحَمْدِ اللهِ حَمْدَ اللهِ وَطَني ومَسْقَطُ جَبْهَتي ومِفْتاحُ عَيْني
وفي حافاتِ حَمْدَ اللهِ قَوْمٌ كِرامٌ لمْ يَنالْهُم أيُّ شَيْنِ
وجَدَّدَ سُنَّةً في عام شَرْجَلْ[١] أميرُ المؤمنين بغير مَينِ
لَقدْ أحْبَبْتُه حُبا بَليغا لِنْ قد كان صلَى القِبْلتَينِ
وحُبُّ الشَيْخِ مُمْتلِئٌ بِقَلْبي إلَى صَدْري ومَوضِعُ مِنْخَرينِ
خَليفةُ أحمدُ بُن محمد كَحْ[٢] ومُدَّةُ عُمْره لَو[٣] مرتين
وأحمده وعبد الله مُبُّ حياتهما هما كالجَوهرينِ
ومُدَّةُ سبْطِه كطٌّ وطاء[٤] خَليفةُ أحمد مِن أحمدينِ
وحامِد شَيْخ عبد سلام[٥] معه بعيدين المَلامَةَ ماجِدَين

(١) يعني عام ١٢٣٣ بحساب الجمل.

(٢) يعني ٢٨ بحساب الجمل.

(٣) يعني ٧٢ بحساب الجمل.

(٤) يعني ٣٩ بحساب الجمل.

(٥) عبد السلام بن شيخ أحمد كان سفيرا لإمارة ماسنا في مدينة بنكاس (المنطقة الرملية) وهو من بنى فيها أول مسجد في حي أوروبي (Oroboye). يستمع يرو أسكلا أسطوانته (بحمد الله) أثناء حديثه عن عبد السلام شيخ أحمد.

ومحمود الذي قد ساد دَلَ[١] سَخِيٌّ سَيِّدٌ مِن سَيدينِ
كذا الحاجِ مع غورو سَعيدٍ وأحمد لُبُّ مُنْبَسِطُ اليَدينِ
وبا لُبُّ كَريمٌ سَيِّد مِن خِيارِ القَومِ صَافي الوالدَينِ
وألفا نُوح ذو عِزٍ وجاهٍ وألفا دِنْبَ كانا زاهِدينِ
كذا حَمْبرْكِ ذو أمْنٍ وعَدْلٍ يقومُ لنا مَقامَ الشاهِدينِ[٢]

وهذه قصيدة طويلة تكاد تشمل تاريخ إمارة ماسنا بأكمله. وجاءت من عَالِمٍ ولد وترعرع في عاصمة إمارة ماسنا (حَمْدَ الله)، وتوفي فيها. وقد وصفها المؤرخ يرو أسكلا باه Yero askoula ba kouyate الَذي كرّس حياته في إحياء تاريخ (حَمْد الله) بأنها تعتبر معادن تاريخ إمارة ماسنا حيث قال: «ومن يُرِدْ أن يعرف تاريخ إمارة ماسنا وأعلامها فليعتمد على هذه القصيدة بالدراسة والتتبع والاستنتاج حتى يصل إلى النتيجة، وأنها خير دليل يستدل به في تاريخ الإمارة، بل سماها (أم تاريخ إمارة ماسِنا)[٣].

النموذج الثاني:

٢ـ قصائد اعتراف وثناء أرسلها أهل ولاته[٤] إلى الشيخ أحمد بن محمد بن عبد

---

(١) Dalla اسم مدينة من مدن إمارة ماسنا سابقا، وهي تقع حاليا في محافظة (دونزا Douwansa) إقيلم موبتي على الحدود مع المنطقة الجبلية ولا تزال معمورة ومشهورة في المنطقة. وأشير هنا إلى وجود أسر علمية تليدة فيها ويقال عندهم مخطوطات كثيرة في مكتباتهم الخاصة لم تر نور الحياة بعد للأسف.

(٢) مجهول، رسالة في نسب الفلان، وقصيدة لأحمد بن حمبرك في مدح علماء، ماسن، معهد أحمد بابا، الرقم ٥٣٨١.

(٣) يستمع إلى أسطوانته المسمى ب(بحمد الله) حيث يحلل القصيدة تحليلا تاريخيا.

(٤) وَلاتَه: مدينة في الصحراء الكبرى كانت مزدهرة بالعلم والعلماء والأدباء من العرب والطوارق وغيرهم ينظر محمد علي فيريج، فتح الصمد في ذكر شيء من أخلاق شيخنا أحمد، المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج أبوبكر صو، ص. ب.١٣٢٣ بماكو – مالي –: ٣٩، وأشير هنا إلى عدم انتساب

الله وهي ثلاث قصائد اخترنا أبياتا من قصيدة واحدة بينها، منها قول الشاعر: البحر البسيط.

وأَنْـتَ أَكْـرَمُ مِن والٍ زانَ سِيرتَه عَـدْلٌ وهَـدْىٌ واِحْـسـانٌ بِـهِ اقْـتَرَنـا
أَنْـتَ الإِمَـامُ الـذِي شاعَتْ عدَالتُه فَـعَـدهُ الَـنـاسُ مَـأْمـونًـا ومُـؤْتَمَـنَـا
أَنْـتَ الجَـوادُ الـذَي عَمَتْ نَوافِلُه تُـنِـيـلُ سَـائِـلـكَ المـثْـمـونَ والثَمنا
أحْيَيْتَ ديـنَ الهُـدَى فِي كُل مَنْزِلةٍ فِيهَا طَـوائِـفُ مِـن يَـعـبُـدُ الوَثَنا
فَأَصْبَحَ الدِينُ فيهَا سَامِيا صَعدَا مُـسْـتَـولِـيـا مَـنْـعـةً مُسْتَعْلِيا قُنَنَا
وأدْبَـــر الـــشَرُ حَـتـى مَـالـه أثَـرٌ كـأَنَّـه قَـطٌّ فـيـهَـا لَمْ يَـكُـنْ عَـدَنـا
وكَـــمْ قُـرى لِـلْـهُـدَى اشْـتَـهَـرتْ عَلَى تَقْوى الإِلَهِ الذَي أَحْيا بِكَ السُنَنا[1]
عَمَّرْتها بِعُلومِ الـشَرْعِ تَدْرُسُها حَتَى تَعَلَّمَهَا الـبَـادِي وَمَـنْ قَطَنا
وبِالمَسَاجِدِ فِيهِ العَاكِفُونَ عَلَى تَسْبِيحِ رَبِهِـمُ قَـدْ هَـاجَـروا الوَسَنا
وبِـالجِـهـادِ لِإِعْـلاءِ الـشَرِيـعَـةِ لَا لِـغَـيرِ ذاكَ كَـما مِـنْ حـالِـكُـمْ رَكَـنَـا
أَبْقاكَ مَوْلاكَ لِلدِين الذِي اِرْتَفَعَتْ أَعْلَامُه بِكَ[2] حَتَى تَطيبَ ويغدو حالها حسنا
وَلِـلْـعِـيـالِ عِـيـالُ الله تُوسِعُهُم عَـدْلاً وَرِفْـقًـا وتَجْلو عَنْهُم الشَجَنا
تَكْفِيهِمُ كُـلَّ عُـدْوانٍ وَمَظْلَمَةٍ حِرْصًا عَلَيْهِم وتَنْفِي الهَـمَ وَالحَزَنا

القصيدة إلى شاعر معين، ويظهر لي أنّ القصائد الثلاثة كلها ارسلت إلى الشيخ أحمد باسم علماء ولاته بدون تخصيص قارضيها، لأني لم أجدها مسندة في المصادر إلى غير (أهل ولاته) بدون تخصيص شاعر معين.

(١) هكذا ورد في المصادر التي رجعت إليها، والظاهر أنّ فيها انكسار.

(٢) والظاهر: عبارة «أعلامه بك» زائدة على الوزن.

تُشْكِيهِمُ إِنْ شَكَوْ خَطْبًا أَلَمَّ بِهِمْ وَلَسْتَ تُخزِيهِمْ سِرًا وَلَا عَلَنا[٣]

وَلاتَهْ بلدة مشهورة بالعلم والعلماء في الصحراء الكبرى بمنطقة (تنبكت) كان يربط بين علمائها وعلماء إمارة ماسِنا علاقة علم ودين وود واحترام متبادل كما هي العادة بين أهل العلم في السابقين، فهذه القصيدة خير شاهد لما كان يُكنّه علماء ولاتهْ وتنبكت لمؤسس إمارة ماسنا الإسلامية (الشيخ أحمد) رحمه الله من حب واحترام واعتراف بفضله وحسن خلقه والتزامه بالدين وعظيم رحمته لرعيته.

نستنتج من هذه القصيدة قضايا مهمة منها:

ـ أنه كان هناك علاقة علمية ودينية واجتماعية متينة تربط إمارة ماسِنا التي تقع عاصمتها في وسط جمهورية مالي الحالية مع أقصى الشمال: (تنبكت وولاته) في جمهورية مالي الحالية إذا دُرست دراسة علمية اجتماعية ستعودُ علينا بفوائد كثيرة وحلول جمّة للأحوال الفوضوية التي تعيشها المنطقة اليوم.

ـ أنّ الشيخ أحمد مؤسس إمارة ماسنا شهد له القاصي والداني بالاستقامة والكرم وحسن الجوار وشدة رحمته لرعيته.

ـ أنّ علماء ذلك العصر كانوا حريصين على الاعتراف بالفضل لأهل الفضل على الرغم من بعض الخلافات الطبيعية بينهم.

دليل آخر لمتانة علاقة الحب والتعاون اللذين كانا يربطان الأسرة الكنتية في (تنبكت) والأسرة الأحمدية في (حَمْد الله) تظهر بوضوح في مطلع رسالة التسامح والاعتذار التي أرسلها أحمد البكاي بن محمد بن المختار بن أحمد إلى أمير ماسنا (أحمد الثالث) قال فيها: «... من عبد ربه أحمد البكاي بن محمد بن المختار بن أحمد بالسلام المحفوف بالتكريم والإكرام المصحوب بالتعظيم إلى حبيبه، وابنه، ابن حبيبه وأخيه، أمير المؤمنين أحمد بن محمد، رحم الله السلف وبارك في الخلف ووقاهم التلف وبعد:

(٣) المصدر السابق: ٣٩.

أيها الأمير والقمر المنير؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأشكر لك حلمك وصفحك عني وعن كلامي...،»[١].

٣ـ الشاعر الشيخ محمد بن عبد الله بن سعاد ولد سنة (١٢٣١هـ/ ١٨١٥م)، في قرية كسمبر[٢]، التي تبعد عن قرية ديليDilli بحوالي ١٢٠كم. وتوفي في قرية دينا Diina[٣] سنة (١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م)، عن عمر يناهز ٣٧ سنة. وكان حافظًا متقنًا للقرآن الكريم، قضى كل حياته في تلاوته، وتعليمه، وهو شاعر مفلق، ومشهور بمدح النبي ﷺ، تزيد قصائده على ٣٠٠٠ آلاف قصيدة باللغة العربية[٤]، والفُلاَّتِيَة ، تشمل المدح، والوعظ، والإرشاد، والزهد، والتحذير عن الدنيا، والترغيب في الآخرة[٥].

ومن شعره قوله في عتاب النفس، ومقاومتها[٦]: البحر الكامل.

نَـفْـسِي تَـطِـيرُ إِلَى الهَـوى وتَـقـودُني نَـحْـو المَـعـاصي غَـايَـةً وتَخونُني
فـلَأنْـتِ يَـا نَـفْـسي أَشَـدُّ تَخاصُما وتحَـارُبـا وتَحـاكُـما فـلَأنَّـنـي
بِـكِ في الـعَـداوةِ مُثبِتا ومُشِمّرا لقَتيلِكِ فَتهَيئي لِـتَـلْـقَـنـي[٧]

(١) إعداد: يونس سعيد، محمد القاضي سليمان ميغا، سيدي الإمام ميغا، سيكو سيدي فوفنا راجعه: الدكتور عبد الرحمن عبد الله سيسي، الصلح وثقافة السلام في المخطوطات معهد أحمد بابا للدرسات العليا والبحوث الإسلامية، المكتبة الوطنية بمالي، ٢٠١٨م.ص: ٥٢.

(٢) تقع في مديرية دوانزا Cercle de Douenza في إقليم موبتي. ولكن يبدو لي أن هناك نوعا من التضارب والاختلاف في محل ميلاده، لأن هناك من يرى أنه ولد في قرية غسامبارو بمديرية كوليكورو.

(٣) قرية دينا هي المسمى بديلي الآن وتقع في الإقليم الثاني (كوليكورو) في جمهورية مالي.

(٤) من قصائده في معهد أحمد بابا تحمل الأرقام الآتية: ٥٨٨، ١٢٢٤، ٤٢١٦، ٥٨٨٢، ٨٨٨٢.

(٥) محمد جاكايتي، المصدر السابق: ١١١.

(٦) مخطوطات. من قصائده في معهد أحمد بابا تحمل أرقام الآتية: ٥٨٨، ١٢٢٤، ٤٢١٦، ٥٨٨٢، ٨٨٨٢.

(٧) هكذا وجدت عجز هذا البيت في النسخة، وهو منكسر الوزن، ولعلها من النساخ.

٤ـ الشاعر المختار بن وديعة الله الماسني المشهور ب (**يركي تلف**)، الملقب بالأسماء الآتية: يرو انغويا ألياسYero Ngouya Alias، وحمادون بن بلكو بن ممّا ساغيا Hamadoun Belko Mamma Sagiga، أو حمادون غوغوHamadoun Goggo[١]. **المختار بن وديعة الله** خلّف لنا تراثا فكريا ضخمًا قُدّر بواحد وعشرين (٢١) مؤلفًا بين منثورات ومنظومات باللغة الفلاتية واللغة العربية منها[٢]، تحفة أهل الجبال في معرفة أحوال الرجال أو (إخراج الدرر في أرض الحجر). جامع الأسرار والأنوار في الصلاة على النبي المختار[٣]، البروق اللامعة في أصحاب الفيوض الهامعة، الفتوح الربانية في إعراب شواهد المعاني القرآنية أو (الفتوحات القدسانية في استخراج شواهد المعاني القرآنية)، تبكيت البكاي ألفت سنة (١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م)[٤]، مسائل مهمة، رسالة إلى ابن أمير المؤمنين عبد الله[٥]، التأييدات الربانية للجماعة التجانية[٦]، أسئلة وجّهها إلى أحمد البكاي الكنتي والتي ردّ عليها أحمد البكاي في مخطوطه «رسالة إلى وديعة الله في الشريعة الربانية، والسنة المحمدية»[٧]، ديوان: مجموع قصائد (**المختار بن وديعة الله**)[٨].

---

(١) غوغو يعني العمة (باللغة الفلانية).

(٢) المصدر السابق: ٩٩

(٣) معهد أحمد بابا، الرقم، ٨٨٩٥. و قد أشار دكتور محمد جاكايتي إلى أن عمر جليا قام بشرح مخطوط جامع الأسرار والأنوار مشيرا إلى أن (يركي تلفي) ابتلي بالحساد حتى أفسدوا بينه وبين أمير بلده فهرب خائفا إلى بلاد هوسا.

(٤) معهد أحمد بابا، تنبكت، الرقم، ٣٤٤، ٢٧٨٦، ٢٩٠٩، ٣٣٨٤. ويوجد نسخة في مكتبة الباحث.

(٥) معهد أحمد بابا، الرقم، ١٥٩٠.

(٦) معهد أحمد بابا، الرقم، ٨٦٢.

(٧) معهد أحمد بابا، الرقم ٢٠٢٢.

(٨) معهد أحمد بابا، الرقم ٨٦٣ ويوجد نسخة في مكتبة الباحث: وينظر محمد جاكايتي، المصدر السابق، ص:٩٩.

ومن قصائده: البحر الطويل.

سَمَا لَكَ مِنْ سُعْدَى وَهِنْدٍ خَيَالُ وَدُونَهُمَا فَيْحُ اَلْفَلاَ وَرِمَالُ[١]

رِمَالٌ تَصَدّتْ لِارْتِقَاءِ جِبَالِهَا رِجَالٌ فَمَاتُوا وَاَلْجِبَالُ جِبَالُ

جِبَالٌ مُنِيفَاتٌ لِأَجْلِ سَمَاكِهَا تَقَاصَرَ عَنْهَا نِسْوَةٌ وَرِجَالُ

رِجَالٌ هُمْ جَالُوا وَجَادُوا وَجَالَدُوا[٢] مُجَادِلُهُمْ وَلْحَادِثَاتُ نِبَالُ[٣]

سَبَاكَ وَلَمْ تَرْجُ اَلْفِدَاء هَوَاهُمَا وَلاَ لَكَ فِيمَا تَبْتَغِيهِ مَجَالُ

أَيَا لاَئِمي فِي حُبِّ سُعْدَى وَصِنوِهَا كَفَاكَ فَصَحْوُ اَلْعَاشِقِينَ مُحَال

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَطُولُ حَيَاتُنَا إِلَى سَاعَةٍ فِيهَا يَكُونُ وِصَالُ

وَأَلْقَى عَلَى بَحْرِ اَلْفَنَا فَفَنا اَلْفَنَا وذَلكَ عِنْدَ اَلْعَارِفِينَ كَمَالُ

وَمِنْ عَجَبٍ إِنِّي أُحِنُّ لِفَرْتِنَا[٤] وَإِيَايَ إِيَاهَا فَذَاكَ ضَلاَلُ

وَمِنْ عَجَبِ اَلْأَيَامِ طَالَبَ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ فِيمَا يُرِيدُ مَنَالُ

---

(١) فيح الشيء: فهو فياح. أفاح الدم: أساله وسفكه، وهو مفاح. و- القدر: غلاها، على نفسه من الظهيرة: أقام حتى يسكن حر النهار ويبرد . (أحمد رضا، معجم متن اللغة، درا مكتبة الحياة بيروت، عام ١٣٨٠ ـ ١٣٧٧م، (٤/ ٤٦٣). الْفَلَاةُ: الْمَفَازَةُ وَالْجَمْعُ (الْفَلَا) وَ(الْفَلَوَاتُ)» (أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.، ج٣، ص٢٤٣). الرَّمْلُ: معروفٌ، والجمع رمال، ورمّلتُ الطَّعامَ ترميلاً: جعلت فيه رَملاً وتُرابا، (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، العين، تاريخ النشر بالشاملة ٨ ذو الحجة عام ١٤٣٢هـ، (٨/ ٢٦٦).

(٢) الجلد بالكسر والتحريك: المَسْك من كلّ حيوان، ج: أجلاد وجلود. وجلده يجلده: ضربه بالسوط، وأصاب جلده، (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، دار مؤسسة الرسالة ـ بيروت لبنان ط٨، عام ٢٠٠٥م).

(٣) والنبل: السهام بلا واحد أو نَبْلة جمع انبال ونبال ونبلان. (نفسه، مادة: «نبل»).

(٤) فرتنا اسم موضع بها أطلال محبوبة الشاعر.

تَمَنَّى سُلَيْمَى[٥] أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ يَقَعْ قِتَالٌ وَلاَ شُدَّتْ لِذَاكَ رِحَالُ
وَإِنْ مُتُّ فَرْغًا فِي هَوَاهَا وَوُدِّهَا فَلِي فِي مَمَاتِ اَلْعَاشِقِينَ مِثَالُ
ألا يَا سُلَيْمَى هَوِّنِي وتَرَفَّقِي وَلاَ تَخْرِقِي فَالْخَرْقُ مِنْكِ قِتَالُ
إِذَا مَا تَبَدَّتْ مِنْ شِعَارِ جَمَالِهَا تَجَدَّدَ مِنِّي عِنْدَ ذَاكَ جَمَالُ
إِذَا مَا تَجَلَّتْ فِي دِثَارِ جلالِهَا[٦] تَزايَدَ عِنْدي حِينَ ذَاكَ جَلاَلُ
هِيَ اَلْكُلُّ إِلاَّ أَنَّهَا قَدْ تَسَتَّرَتْ بِكُلٍّ وَلاَ كُلُّ الأُمُورِ يُقَالُ
كَشَفْتُ لَكَ اَلْمَحْجُوبَ لَوْ كُنْتَ عَارِفًا وَلَكِنَّ لاَ يُدْنِي اَلْبَعِيدَ مَقَالُ

٥ـ قصيدة ابن سعيد في مدح بعض مشايخ الفلان[٧] البحر الكامل:

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما
ولَنِعْمَ شَيْخُ الْعِلمِ شَيخُ شُيوخِنا لله دَرُّكَ مِنْ عَليمِ زَمانِ
قَدْ طَالما أَرْشَدْتَنا لِسبيلِنا اَلْـ ـمُثلى إلى الإسْلامِ والإيمانِ
يا قَوْمَنا اِتَّبِعوا لِما قَدْ قالَهُ عُثْمانُ شَيخُ مَشايخِ الفُلَّانِ[٨]
أَعْنِي اِبْنَ فُودي مَنْ تُقاهُ وهَدْيُه لا يَخْتَفِي إلاّ عَلى الْعُمْيَانِ
بَذَلَ النَّصِيحةَ في هِدَايَةِ حِزْبِنَا ودَعا طَوَائِفَنا إلى الإِحْسَانِ
ولَهُ تَأْلِيفٌ كَثِيرٌ عَدَّها أَبَداً مَسَائِلُنَا عَلى اَلْبُرْهانِ

(٥) سليمى هي المتغزل بها إما حقيقة أو متخيلا.

(٦) الدثار: الثَّوْب الَّذِي يكون فَوق الشعار والغطاء (ج) دثر. إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ج١، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة عام ١٤٣١هـ (١/ ٢٧١).

(٧) ابن صديق، سعيد، معهد أحمد بابا، الرقم ٤٣١.

(٨) يقصد الشيخ عثمان بن فودي مؤسسة مملكة صكتو بنيجيريا حاليا.

ولَــهُ مَــعَــارِفَ جَمَّــةٌ قَــدْ بَثَّها خُــصَّ بِــهِ مِــنْ رَبِّــنَــا اَلْمَــنَّــانِ
ولَــهُ شُــبُــولٌ آخِــذُونَ بِهَــدْيِــه فِي سَــائِـر الأَقْــطــارِ والْــبُــلْــدَانِ
مُــتَــواثِــقُــونَ عَــلَى الجِــهَــادِ تَــرَاهُــمُ حِفْظًا لأَهْــلِ الــدِيــنِ والإيــقــانِ
فَــابْــدَأْ بِــبِــلُّــو[٩] فَــإِنَّــهُ عَــلَــمٌ لَنا فِي الدِين وهُــوَ خُــلاَصَــةُ الأَعْــوَانِ
أَعْنِي اِبْــنَــهُ دِيــنَــا[١٠] إِمــامُ زَمَــانِــهِ بِلُّو الأَمِــيرُ وفَــارِسُ الشُجْعَانِ
لاَ تَنْسَ عَبْدَ اللهِ[١١] فَهُوَ مُقَدَمٌ فِي الهُــدَى وهُــوَ الــعَــالِمُ الــرَبَّــانِي
وكَذَلِكَ أَحْمَــدُ لُبُّو[١٢] فَهُوَ مُتَوَّجُ الــزُهْــدُ نِــعْــمَ الــعَــابِــدُ الْمُــتَــدَانِي
وَقَــدْ جَــدَّ الدِينَ بِــعَــصْرِهِ وَبِقَطْرِهِ أَحْــبِــبْ بِهَــذَا الْمُــرْشِــدُ المِــعْــوَانُ
وَأَبُــوهُــمْ أَيْــضًــا سُرَاةٌ قَــادَةٌ أَكْــرِمْ بِهِــمْ هُمْ سَــادَةُ الــسُــودانِ[١٣]
أَلْحِــقْ بِهِــمْ عُــمَــرٌ[١٤] فَــإِنَّ مَقَامَهُ فِي الدِينِ غَــيْرَ مُضَعْضَعِ الأَرْكــانِ
قَــدْ وَطَّــدَ الإِسْــلامُ فِي سِــغُ[١٥] فَــأَبَــادَ أَهْــل الــكُــفْــرِ والطُغْيَانِ

(٩) هو محمد بلّو بن الشيخ عثمان.

(١٠) يبدو لي أن كلمة (دينا)كنية للأمير محمد بلّو.

(١١) يقصد الشيخ عبد الله بن فودي أخ الشيخ عثمان بن فودي.

(١٢) هو الشيخ أحمد مؤسس إمارة ماسنا. ولُبُّو باللغة الفلاتية يعني الطيّب أو الجميل.

(١٣) أي بلاد السودان، وهي المشهورة بغرب أفريقيا حاليا.

(١٤) هو الشيخ عمر الفوتي رائد الطريقة التجانية وناشرها في غرب أفريقيا.

(١٥) سِغُ :كانت عاصمة لمملكة بَمْبارا، وسقطت على يد الشيخ عمر الفوتي، وتُعَدُ الإقليم الرابع في ترتيب أقاليم جمهورية مالي، وهي مدينة كبيرة تقع في شرق العاصمة: بماكو وتبعد عنها حوالي ٢٣٦كيلو.

فَاحْتَلَ عَرشَ عَظِيمِها عَلِي وُيْتَلا[١] لله دَرُّكَ مِنْ أَخِ الفُرْسَانِ
فَرِمَاحُهُ وسُيُوفُه وسُخُوذُهُ لِقِتَالِ أَهْلِ البَغْيِ والعُدْوانِ
بَنُوهُ ثُمَّ جُمُوعُهُمْ قَامُوا بِهَـ ذَا الشَأْنِ لِفَهْمِ ذَوُو العِرْفانِ
مِنْهُمْ سَمَى شَيْخُ الحَاجِ مَنْ يُثْنَى بِمَعْرِفَة ونُورِ جَنَانِ
لاَ سِيَمَا شَيْخِي وحِبْرُ زَمَانِنَا مَنْ عَمَلُه في هَدْيِ الحَيْرَانِ
أَلْفا بن أَحْمَدُ مَنْ هَدَاهُ وسْمُهُ يُبْدِي لَنا في السِّرِ والإعْلانِ
وقَرِينُهُ حَيًا ومَيْتا هَهُنا قَبْرَاهُمَا بِبَقِيعِنا النُورَانِي[٢]
أَعْنِي الخَلِيلَ العَابِدَ البَطَلَ الذّي ما زَالَ مُعْتَكِفًا عَلَى القُرْبَانِ
حَتّى تُوُفِّي في عِبَادَةِ رَبِّهِ بِجِوَارِ خَيْرِ الخَلْقِ مِنْ عَدْنَانِ
هَاكُمْ مَشَايِخَنا وهُمْ أَسْلاَفَنا في الدِّينِ نِعْمَ أُولَئِكَ الفِتْيَانِ
وَاللهُ يَحْفَظُنَا وَيَحْفَظُ دِينَنَا مِنْ كَيْدِ كُلِّ مُوَسْوِسٍ شَيْطَانِ
وَيُقِيمُ لِلدِّينِ الحَنِيفِ مُجَدِداً لِلْحَقِ يَهْدِ وهُوَ غَيْرُ جَنان[٣]
ثُمَّ الصَلاةُ عَلى النَبِي وآلِه ما بانَ ضَوْءُ هُدَاهُ لِلْإِنْسانِ

٦ـ وللعالم التقي القاضي التّجاني الفا أحمد كور[٤] في مدح القطب الأكبر، والأجل

(١) علي ويتلا: ملك سِغُ الذي فَرَّ ولجأَ إلى حَمْدَ اللهِ: عاصمة إمارة ماسنا بعدما احتل الحاج عمر الفوتي مدينته.

(٢) البقيع: مقابر أهل المدينة المنورة.

(٣) هكذا وجدت في النسخة التي اعتمدت عليها، ولعل الصواب (غير جبان) من الجبن.

(٤) لم أقف على ترجمة له بعد بحث وسؤال أكثر مما ورد في هذا المخطوط وهو قولهم: العالم التقي القاضي التجاني ألفا أحمد كور، والظاهر أنه عالم من علماء القرن التاسع عشر الميلادي، عاصر الشاعر المختار بن وديعة الله وصاحبه، وهو من غلاة الصوفية كما يظهر في قصيدته. والله أعلم.

الأطهر أحمد بن محمد التّجاني الفاسي[١] ﷺ، وأرضاه. بحر الكامل[٢]:

نَـفْـسِي الـفِـداءُ لِـسيِّـد رَبّـاني شَـيْـخِ اَلحَقيقَةِ مَـعْـدِنِ الْعِرْفانِ
كَـنْـزِ الْإلـهِ وسِرِّه الْمَكْـنـونِ مَـنْ قَـدْ أعْـجَـزَ الأَفْـهـامَ مَـعَ إمْـعـانِ
غَـيْر الَـذِّي سـادَ اَلْـوُجـودَ بِـأسْرِهِ صَـلَى عَـلَـيْـهِ اللهُ كُـلَّ أَوانِ
فَـهُـوَ الـذِّي قَـدْ حـاطَـهُ بِمَقامِه وبِـذاتِـه واخْـتَـصَّـهُ بِـمعـانِي
يـا سيِّـدًا قَـدْ حـازَ كُـلَّ فَضيلَةٍ وسَـما عَـلَى أقْـطـابِ كُـلِّ زَمـانِ
يـا مُـفْـرَدًا قَـدْ عَـزَّ مِـنْـهُ وانْتَفَى جَمْـعٌ وتَـثْـنِـيَـةٌ بِـلَا بُهْـتَـانِ
يـا عَـيْنَ رَبَّ الـعَـالَمِـينَ مُمِـدَّ مَـنْ قَـدْ جَـلَّ مِـنْ بَـحْـرٍ بِـكُـلِّ أَوانِ
لَا تَنْسَنِي فَالكُلُّ أَنْـتَ مَـلَاذُهُ وَاحْكُمْ عَلى الضَيْفِ الضَعيفِ الجَانِي
وَأفِـضْ عَلَيْهِ مَلابِسًا يُكْسَى بِهَا أَمْـنًـا وَإِيـقـانًـا بِـلَا زَيَـغَـانِ
يَـا نَـجْـلَ خَـيْرِ الـعـالَمِـينَ وَحِـبَّـهُ يَـا خَـاتَـمَ الأَقْـطـابِ وَالأَعْـيـانِ
يـا سِرَّ بَـيْـتٍ طُـهِّـرَتْ عَـرَصَـاتُـهُ بِـشَـهَـادَةِ الـرَحْمَـنِ في الْـفُـرْقَـانِ
جِئْنَا إِلَـيْـكَ مُـقَـدِّمِـينَ رَجَـاءَنـا فَـالْـكِـرْمُ يَـأْبَـى رَدَّ ذِي رَغْـبـانِ
فَالْمَجْدُ فِيكُمْ أُغْـرِسَـتْ أَشْـجَـارُهُ وَنَـمَـتْ عَـلَى الأَقْـطـارِ والْـبُـلْـدَانِ
أَنْتُمْ عِـمَادُ الدِينِ بَلْ كَهْفُ الْـوَرَى وَمُـذِلُّ أَهْـلِ الْكُفْرِ وَالْعِصْيانِ
فَـاللهُ يَجْـزِيـكُـمْ عَـلَى هَـذَا الْـوَرَى خَـيْرًا وَيُعْلِيكُمْ مَـدَى الأَزْمـانِ
ثُمَ الصَّلاَةُ عَلَى الرَسُولِ وَصَحْبِه مَـا حَـنَّ مُـشْـتَـاقٌ إِلَى أَوْطَـانِ

---

(١) يقصد الشيخ أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية (ت: ١٨١٥م).

(٢) مجموع قصائد يركي تلف في المدح والتوسل والثناء وغيرها، معهد أحمد بابا، الرقم٨٤٥، ص ٧ ـ ٨.

ومن هنا نخلص إلى القول بأنّ من أهم مقاييس المضمون في الجودة والرداءة، وفي الغموض والوضوح، والقبول والرفض تعود إلى بيئة النص والمجتمع المتلقي لهذا النص أساسًا، أو بتعبير آخر جمالية النص تقاس بذائقة الجمهور المتلقي لذلك النص، وربما هذا هو السبب في تفريق السكاكي بين مرحلة تأدية المعنى، وتلقيه، وبَيَّنَ أن صناعة المعنى تعتمد على المواضعة الاجتماعية، وعلى الذائقة الشخصية، عندما قال: «**ليس من الواجب في صناعةٍ وإن كان المرجع في أصولها وتفاريعها على مجرد العقل أن يكون الدخيل فيها كالناشئ عليها في استفادة الذوق منها فكيف إذا كانت الصناعة مستندة على تحكماتٍ وضعية واعتبارات إلفية فلا على الدخيل في صناعة علم المعاني أن يقلد صاحبها في بعض فتاواه إن فاته الذوق هناك على أن يتكامل له على مهل موجبات ذلك الذوق**[1] » فعلى هذا المنظار ينبغي ـ حسب فهم الباحث ـ أن ننظر إلى أغلبية الشعر العربي ـ قديمه وحديثه ومنه الشعر الماسني الذي نحن بصدد دارسته ـ في دول أفريقيا غير الناطقة بالعربية لنعذر ضعف قوالبها الشكلية وأساليبها الركيكة؛ لأنّه على الرغم من ذلك فإن المجتمع يألفه ويتذوقه وينشط ويحتفي به.

(١) يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ج١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

الخاتمة: توصلنا خلال هذه القراءة إلى بعض النتائج أهمها ما يلي:

١. أن القرن التاسع عشر الميلادي يُعَدُّ القرن الذي بلغ اللغة العربية أوج ازدهارها في منطقة الغرب الأفريقي عموما وفي ماسنا خصوصا.

٢. أنّ المدائح النبوية ﷺ، ومدح الشيوخ بالزهد، والتقوى، والجود، والعدل، والإحسان، ظاهرة مضطردة في أشعارهم. وكذلك الشعور بعظمة شعائر الله.

٣. أنّ التأثّر بألفاظ، وتعابير القرآن الكريم، والحديث النبوي واضح في نتاجاتهم الأدبية عموما، وهذا ما يفسر قلة الهجاء، والغزل، والفخر عندهم؛ لأنّ الهدف الأساسي في قرض الشعر في نظرهم هدف ديني بحت.

٤. أنّهُ يلاحظ على نتاجاتهم عموما الوضوح، ومباشرة المعنى، وسهولة الألفاظ، كما نجد بعض التعابير الركيكة، والعيوب العروضية في قصائدهم، وهذا الأخير قد يعود غالبا إلى ضعف بعض النسّاخ، وإهمال بعضهم في عملية نسخ المخطوط.

٥. طغيان الفكر الصوفي في أشعارهم، ولعل السبب في ذلك عائد إلى هيمنة الصوفية على المنطقة ثقافيا، واجتماعيا، وسياسيا في تلك الفترة من تاريخها، حيث كان العلماء، والشيوخ هم الزعماء والشعراء في نفس الوقت.

٦. التأثر الشديد بشعر عصر ما قبل الإسلام، والشعر الأندلسي حتى صاروا يستعيرون تعبيرات شعراء تلك الفترة، بل بالغ بعضهم في ذلك حتى أخذ صدر البيت بالكامل، أو أكثر عدد كلمات البيت وضمنه في قصيدته. نجد نماذج من ذلك عند الشاعر المختار بن وديعة. وفي الغالب يتميز شعرهم ببُعْدِه عن الفلسفة والفكر العميق، وبقربه من العفوية والبساطة، كما يتميز بكثرة وروده على الأوزان الغنائية المشهورة:(البسيط، الكامل، الطويل، الوافر، والخفيف)، مع الالتزام بقواعد القافية التي استخدمها شعراء العرب القدامى.

٧. تفشي مدح الشيوخ والعلماء المصلحين بأخلاق حميدة وصفات دينية وإنسانية راقية، ويلحظ شبه انتفاء المدح التكسبي في أشعارهم، وقد يُضَمِّنونَ قصائدهم أحيانا

اللغات المحلية، أو يترجموها ترجمة حرفية إمَّا قصدا، أو ضعفا في اللغة العربية، وأساليبها، وهذه من الخصائص المهمة التي يتميز بها شعر منطقة السودان الغربي، وماسنا بصفة أخص.

توصية: أوصي الباحثين بالاهتمام بتحقيق ودراسة التراث العربي، وغير العربي عموما في أفريقيا من ذلك تحقيق المخطوطات الشعرية في منطقة ماسنا، ودراسة الشعر الفلاتي ـ المكتوب بالحرف العربي منه واللاّتيني ـ وهي كثيرة وثرية وتحتضن ثقافة إسلامية وإنسانية راقية.

المصادر والمراجع:

١ـ المخطوطات:

١ـ قصائده في معهد أحمد بابا تحمل أرقام الآتية: ٥٨٨، ١٢٢٤، ٤٢١٦، ٥٨٨٢، ٨٨٨٢.

٢ـ مجهول، رسالة في نسب الفلان، وقصيدة لأحمد بن حمبرك في مدح علماء، ماسن، معهد أحمد بابا، الرقم ٥٣٨١.

٣ـ مخطوطات. من قصائده في معهد أحمد بابا تحمل أرقام الآتية: ٥٨٨، ١٢٢٤، ٤٢١٦، ٥٨٨٢، ٨٨٨٢.

٤ـ معهد أحمد بابا، الرقم ٢٠٢٢.

٥ـ معهد أحمد بابا، الرقم ٨٦٣ ويوجد نسخة في مكتبة الباحث.

٦ـ معهد أحمد بابا، الرقم، ١٥٩٠.

٧ـ معهد أحمد بابا، الرقم، ٨٦٢.

٨ـ معهد أحمد بابا، الرقم، ٨٨٩٥.

٩ـ معهد أحمد بابا، تنبكت، الرقم، ٣٤٤، ٢٧٨٦، ٢٩٠٩، ٣٣٨٤. ويوجد نسخة في مكتبة الباحث.

١٠ـ معهد أحمد بابا، ابن صديق سعيد، الرقم ٤٣١.

٢ـ المطبوعات:

١ـ إبراهيم مصطفى، وآخرون، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، ج١، (د.ت)

٢ـ الخليل بن أحمد الفراهيد، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.م)، (د.ت)

٣ـ أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج٣، دار الفكر، (د.م)، ١٩٧٩.

٤ـ أحمد بن محمد بن أبي بكر الماسني، **الاضطرار إلى الله في بعض ما توقد من البدع وإحياء بعض ما اندرس من السنن**، المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج أبوبكر صو ص. ب. ١٣٢٣ باماكو مالي.

٥ـ أحمد رضا، **معجم متن اللغة**، درا مكتبة الحياة بيروت، عام ١٣٨٠ ـ ١٣٧٧م.

٦ـ آدم عبد الله الإلوري، **الإسلام في نيجيريا**، والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، تقديم: عبد الحفيظ أولادوسو، ط١، دار الكتاب المصري، (د.م)، ٢٠١٤م.

٧ـ عبد الله بن محمد ابن فودي، **ديوان تزيين الورقات**، طامي زيرو صكتو ـ نيجيريا، (د.ت).

٨ـ عثمان برايما بري، **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي**، ط١، دار الأمين، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٩ـ علي يعقوب، **الفلانيون الشعب، اللغة، ونشر الإسلام في السودان الغربي**، مكتبة التين، لاغوس- نيجيريا (د.ت).

١٠ـ الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، دار مؤسسة الرسالة ـ بيروت لبنان ٢٠٠٥م.

١١ـ محمد علي فييريج، **فتح الصمد في ذكر شيء من أخلاق شيخنا أحمد**، المكتبة الإسلامية، بماكو ـ مالي (د.ت).

١٢. المختار بن إسماعيل السلنكي، **ما وقع في التكرور السوداني مما بين تنبكت وجني**، تحقيق: عبد الرحمن عبد الله سيسي، وآخرون، معهد أحمد بابا للدرسات العليا والبحوث الإسلامية، المكتبة الوطنية بمالي، مالي، ٢٠١٩م.

١٣ـ يوسف بن أبي بكر السكاكي، **مفتاح العلوم**، ط٢، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

١٤ـ يونس سعيد، **محمد القاضي سليمان ميغا، سيدي الإمام ميغا، سيكو سيدي فوفنا**، راجعه: عبد الرحمن عبد الله سيسي، الصلح وثقافة السلام في المخطوطات، معهد أحمد بابا للدرسات العليا والبحوث الإسلامية، المكتبة الوطنية بمالي، مالي، ٢٠١٨م.

٣ـ الرسائل العليمة:

١ـ محمد جاكايتي، **الفلانيون وإسهامهم في الحضارة الإسلامية بمالي خلال القرنين (١٢ـ ١٣م / ١٤٢٧ ـ ١٤٢٨ هـ)**، جامعة زيتونة، المعهد العالي لأصول الدين (تونس)، ٢٠٠٦ ـ ٢٠٠٧م.

٤ـ المسموعات:

١ـ يستمع إلى أسطوانة يرو أسكلا باه، المسمى ب(بحمد الله) حيث يحلل القصيدة تحليلا تاريخيا.